(٢) القضية الفلسطينية عربيا

من الدولة الفلسطينية الى العودة الى الاردن

كان الشهران الماضيان شهري الدولة الفلسطينية. لقد طرحت على الصعيد العربي كما لم تطرح من قبل . وحين بدأت الرقاب تشرئب بحثا عن «الفكرة الهائمة» ، غابت « الدولة الفلسطينية » عن صفحات الصحف وبرامج الاذاعات . وظل الجمهور الفلسطيني بين الصمت والاعلان حائرا متخوفا بينما ظلت بعض القيادات الفلسطينية تبحث في السراب عن الماء .

وبرز فجأة على السطح موضوع جديد . انه موضوع العلاقات الاردنية ـ العربية ، وعودة المياه الى مجاريها بين الاردن وشقيقاته العربيات، وعودة الحياة الى الجبهة الشرقية بالطبع . وكانت عمان تحاول ، منذ ايلول سنة ١٩٧٠ ، ان تصفي الثورة الفلسطينية من جهة وان تحافظ على علاقاتها العربية من جهة اخرى . ولكن تصفية قواعد الثورة في جرش وعجلون ، في تموز سنة ١٩٧١ ، دفعت عددا من الدول العربية لقطع علاقاتها مع الاردن ، ثم جاء مشروع الملكة العربية المتحدة فدفع جمهورية مصر العربية الى قطع علاقاتها .

وظل الاردن ، خلال هذه المدة ، يحاول عابثا ان يستعيد علاقاته العربية ، فيخرج من العزلة ، ويفرض العزلة على الثورة الفلسطينية . وراحت الوفود الاردنية وجاءت ، وزار الملك حسين اكثر من بلد عربي ، على رأسها المملكة العربية السعودية اكثر من مرة ، وكتب الملك حسين اكثر من رسالة . ولكن هذه المحاولات جميعا كانت تصطدم بعقبة العلاقة بين الاردن والثورة الفلسطينية . وكان النظام الاردني ، في هذه الفترة ، يواصل حملات التصفية والملاحقة والتحريض ضد الثورة ، كما كان يواصل العمل لتوثيق علاقاته مع بعض دول الخليج وايران ، ويسعى جاهدا لضمان استمرار تأييد الولايات المتحدة الاميركية . وظل الاردن حريصا على ان يرفض فكرة الحرب ، مع دولة الاحتلال ، او ان يكون جزءا من محور الحرب ، حتى عندما تكون حربا كلامية . وتوضح رسالة الملك حسين الى القوات المسلحة ، التي نشرتها الصحف في حينه، هذا الموقف بجلاء .

وحين قامت السلطة اللبنانية في ايار بهجومها على الثورة ، ظن النظام الاردني ان كل شيء قد انتهى ، وان الثورة سوف لا تقوم لها قائمة . الا ان حسابات النظام الاردني وكل القوى المضادة اصطدمت بصخرة المقاومة ، فخاب امل المراهنين على نهاية الثورة نهاية مفجعة . ولكن هذا الفشل اخرج فكرة الدولة الفلسطينية من جديد الى حيز السياسة اليومية . واتشغل الوطن العربي بالفكرة السرابية . وبدأت الاسئلة تطرح : اين ؟ كيف ؟ ولماذا ؟ ولم تجد الاسئلة من يجيب عليها غير الحبيب بورقيبة . قال الحبيب بورقيبة ما لم يقله احد . واوضح ان الكيان الاردني كيان مصطنع ، وان الدولة الفلسطينية يجب ان تقوم في شرق الاردن . وثارت ثائرة النظام الاردني ، فنظم المظاهرات وارسل الوفود احتجاجا على تصريحات الحبيب بورقيبة . وكان من بين الوفود وفد ذهب الى تونس ليسمع من الحبيب بورقيبة ما لم يسمعه من الاذاعات والصحف . وتطع الاردن علاقاته مع تونس.وهنا أخذ النظام الاردني يفكر بقضية الدولةالفلسطينية مليا . لقد بات واضحا ان ما طرحه الحبيب بورقيبة يحظى باهتمام بعض الدول العربية ، كما كان واضحا انه ليس معزولا عن « الاعيب » بعض الدول الكبرى . ولذلك اخذت النظامالاردني الخشية . فلقد بدا واضحا للحاكمين في عمان ان هنالك امكانية لمحاولة حل مشكلةالفلسطينيين على حسابهم . واخاف هذا « التحول » بعض الدول العربية التي تخاف اي تغيير في المنطقة . وجاءت من هنا فكرة الالتفاف على الثورة الفلسطينية . فالنظام الاردني ، المستهدف الاول بعملية التغيير ، راح يلهث وراء عودة علاقاته مع الدول العربية ، خاصة مصر وسورية ، لانه يعلم ان انهاء عزلته العربية ، وعودة المعونات المقطوعة ، هو الوسيلة الوحيدة لعزلة الثورة ، ولمنع اي تغيير . ولهذا اخذ النظام الاردني يلوح باستعداده لبدء صفحة جديدة من العلاقاتالعربية، وللمساهمة في بناء الجبهة الشرقية ، ويؤكد حرصه على وحدة الصف العربي وعدم الخروج عليه بالموافقة على اي مشروع من مشاريع الصلح المنفرد .